

مجمع الأمثال

619 - تَجْجُوعُ الحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدِّ يَدَيْهَا .

أي لا تكون طئيراً وإن آذاها الجوع ويروى " ولا تأكل ثديها " وأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفا لعلاقممة بن خصفة الطائي فزاره فنظر إلى ابنته الزبراء - وكانت من أجمل أهل دهرها - فأعجب بها فقال له : أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب فقال له علقمة : أنت كُفءٌ كريم يقبل منك الصَّفءُ ويؤخذ منك العَفءُ فأقيم ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أمها فقال : إن الحارث بن سليل سيد قوم حَسَباً ومَنْزُلاً وبينا وقد خطب إلينا الزبراء فلا ينصرفن إلا بحاجته فقالت امرأته لابنتها : أي الرجال أحبُّ إليك : الكَهْلُ الجَحْجَاح الواصلُ المَنْزَاح أم الفتى الوَضَّاح ؟ قالت : لا بل الفتى الوضاح قالت : إن الفتى يُغْيِرُك وإن الشيخ يَمْيِرُك وليس الكَهْلُ الفاضل الكثير النَّائِل كالحديث السنِّ الكثير [ص 123] المَنْنُ قالت : يا أمته إن الفَتَاة تحبُّ الفتى كحبِّ الرعاء أنيق الكَلالِ قالت : أي بُذَيَّة إن الفتى شديد الحِجاب كثير العِتَاب قالت : إن الشيخ يُبْذِلِي شباي ويدنس ثيابي ويُسْهِمَت بي أترابي فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم فابْتَدَى بها ثم رَحَلَ بها إلى قومه فبينا هو ذات يوم جالسُ بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبلَ إليه شَيْبَابٌ من بني أسد يعتلجون فتنفَّست مُعَدَاء ثم أرْخَتْ عينيها بالبكاء فقال لها : ما يُبْذِكِيكِ ؟ قالت : مالي وللشيوخ الناهضين كالفُرُوخ فقال لها : ثَكَلَتِكِ أمُّكِ تَجْجُوع الحرة ولا تأكل بثديها .

قال أبو عبيد : فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر " لا تأكل ثديها " وكان بعضُ العلماء يقول : هذا لا يجوز وإنما هو " لا تأكل بثديها " . قلت : كلاهما في المعنى سَوَاء لأن معنى " لا تأكل ثديها " لا تأكل أجْرَةَ ثديها ومعنى " بثديها " أي لا تعيش بسبب ثَدِّ يديها وبما يُغْلَان عليها .

ثم قال الحارث لها : أما وأبيك لرُبَّ غارةٍ شهدتها وسَبِيَّةٍ أردفتها وخَمْرَةٍ شربتها فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك وقال : .

تَهَزَّأت أن رَأَتْني لابِساءً كَيدِراً ... وغايةُ الناس بين المَوْتِ والكَيْدِ .

فإن بقيتَ لقيتَ الشَّيْبَ راغمةً ... وفي التعرُّفِ ما يمضي من العَيْدِ .

وإن يكن قد علا رأسي وغَيَّرَه ... صرْفُ الزمانِ وتغيُّرُ من الشَّعْرِ .

فقد أروحُ للذِّمَّاتِ الفَتَى جَدِلاً ... وَفَدَّ أَصِيبُ بِهَا عَيْنًا من البَقَرِ .
عَنِّْي إِلَيْكَ فَإِنِّي لَا تُؤَافِقُنِي ... عَوْرُ الكَلَامِ وَلَا شُرْبُ عَلَى الكَدَرِ .
يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال